الوظيفة الفنية للصورة القرآنية

الباحثة : بتول عبد الحسين كاظم

أ.د. جبار عودة بدن

جامعة البصرة_ كلية التربية للعلوم الإنسانية_ قسم اللغة العربية

خلاصة البحث:

سلَّط البحث الضّوء على وظيفة الصورة من حيث وجهتها الفنية والجمالية في النص القرآني، مظهراً ما لها من أثر عميق على المتلقي عبر تحفيز خياله، وإثارة مشاعره وانفعالاته الوجدانية، متناولاً بعض الشواهد القرآنية بالتحليل لاستظهار الوظيفة الفنية للصورة، مع الإفادة من المدونات التفسيرية والمصادر المتعلقة بها كونها دراسات مؤصلة وساندة، وقد صُنّف البحث في ضوء مادته على أربعة محاور تبعاً للوظيفة الفنية للصورة القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الوظيفة الفنية، الصورة القرآنية، التشكيل الفني .

The Artistic Function of Quranic Imagery

Researcher : Batoul Abdul-Hussein Kadhem

Prof. Dr. Jabar Ouda Badan

Dept. of Arabic Language, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

The research sheds light on the function of imagery in terms of its artistic and aesthetic aspects in the Quranic text, revealing its profound impact on the recipient by stimulating their imagination and evoking their emotional and emotional reactions. It addresses some Quranic examples through analysis to demonstrate the artistic function of imagery, drawing from interpretive commentaries and related sources as established and supportive studies. The research is categorized, based on its content, into four axes in accordance with the artistic function of Quranic imagery.

Keywords: Artistic Function , Quranic Image , Artistic Design .

المقدمة

إنَّ أسلوب القرآن الكريم بتصويره الفني الساحر والمؤثر، وتعبيره الجاذب، وطريقته الإبداعية، جعلته منهلاً عذباً لكل مهتم بالشأن القرآني على مرِّ العصور، وقد عنيت الدراسات الفنية قديماً وحديثاً بوظيفة الصورة الفنية في الأدب، فأشار القدماء إلى أنَّ للصورة الفنية وظائف عامّة منها[١]:

١. إقناع المتلقي بالأفكار والمعاني التي يطرحها منشئ النص.
٢. الشرح والتوضيح والتي تعدّ أولى عمليات الإقناع.
٣. المبالغة التي تعد إحدى وسائل شرح و توضيح المعنى.
٤. التحسين والتقبيح ويراد بها ترغيب المتلقي بأمر ما أو تنفيره من آخر.
٥. الوصف والمحاكاة ويراد بها تحقيق متعة شكلية تعدّ غاية في ذاتها لا وسيلة لشيء.

أما الدراسات الحديثة المختصة بالشأن القرآني فكان حظّ الوظيفة الفنية للصورة فيها قليلاً فلم يحط الباحثون بها، ويقصد البحث دراسة الوظيفة الفنية بالمنظور الحديث من حيث التشكيل الفني لها – موضوع الدراسة – المشتمل على اللغة التي تتشكل فيها الصورة، وعناصره الأساس تخييلاً وانزياحاً وإيقاعاً، فلم نجد لتلك الوظيفة صدى واسعاً فيما وقع تحت أيدينا من المصادر القرآنية إلا اليسير، إذ تعرض لها الباحثون في ثنايا حديثهم عن الصورة الفنية في القرآن الكريم بشكل موجز، أو بتسليط الضوء على عنصر تشكيلي من دون آخر، وقلَّ من أفرد لهذا الجانب باباً أو فصلاً خاصاً به.

أمّا سيد قطب رائد نظرية التصوير الفني في القرآن فقد وعى بحسه المرهف، وعبقريته الفنية جمالية الصورة القرآنية فتحدث عن وظيفتها وفضلها في توجيه الدعوة، مركّزاً القول على الجانب الفني البحت، ذلك أن عرض المعاني بصورتها التشخيصية أجمل وأرقى من عرضها بصورتها التجريدية، فالأولى تخاطب الحس والوجدان والذهن معاً، بينما الثانية تخاطب الذهن والوعي، وهي بذلك تتخلى عن وجهتها الجمالية[٢] فآثر البحث استخلاص تلك الوظيفة من بين سطور كتابه التصوير الفني في القرآن مع معالجتها بشكل فني وتنظيمها في محاور .

محاور الوظيفة الفنية للصورة القرآنية:

أولاً: إثارة المشاعر والانفعالات الوجدانية

تعمل بعض الصور القرآنية على إثارة المشاعر وتحفيز الانفعالات الوجدانية عند المتلقي من أجل التأثير فيه دينياً وسلوكياً، وكانت طريقته في العرض والتصوير والتشخيص بوساطة التخييل الحسّي والتجسيم الفني[٣]، متخذة من الحسّ بوابة لفتح ذهن المتلقي على تلك المشاهد، فيُلحظ التلاقي بين الصورة والمضمون، وتتواشج الألفاظ مع المعاني، ويظهر تعانق اللغة والفكر في إبراز الوظيفة الفنية للصورة[٤]،(فالقرآن عمد إلى لمس البداهة، وإيقاظ الإحساس، لينفذ منها مباشرة إلى البصيرة، ويتخطاها إلى الوجدان، وكانت مادته هي

المشاهد المحسوسة، والحوادث المنظورة، أو المشاهد المشخصة، والمصائر المصورة. كما كانت مادته هي الحقائق البديهية الخالدة، التي تتفتح لها البصيرة المستنيرة، وتدركها الفطرة المستقيمة) [٥]، لنتأمل الصورة في قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ الله عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَالله سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[النور:٣٩_٤٠]. رسم النص القرآني تشكيلين تصويريين لأعمال الكافرين الصالحة في حياتهم الدنيا، إذ شبه أعمالهم في الصورة الأولى بالتماع الماء على الأرض الجرداء والظمآن يتراءى له السراب ماء، حتى إذا ما اقترب منه اتضحت له حقيقة الأمر، وهذا حال الكفار في الآخرة، فهم يحسبون أن أعمالهم الحسنة في الدنيا ستنجيهم، لكنهم سيفاجئون بعدم نفعها، فصورة تلك الأعمال كوهم وسراب، و تغلف هذه الصورة صورة الضلال الذي هم عليه فهم يعملون تلك الأعمال من غير استناد على عقيدة الهدى وهي الإيمان بالله، فالحقيقة التي أنكروها وكفروا بها وهي وجود الله عز وجل سيتبين لهم أنها الحقيقة التي ضيعوها، فضاعت معها أعمالهم وأصبحت هباء، بل سيجدون من كفروا به لاستيفاء حسابهم[٦]، وظيفة الصورة الفنية هنا إثارة انفعال المتلقي وتحريك وجدانه ليتبين أنّ ما بُني على ضلال وباطل فهو باطل وسيذهب سُداً فلا انتفاع به، وسيجني من بعده العقاب من الله جل شأنه.

أما الصورة الثانية فقد شبّه فيها أعمالهم الحسنة في الدنيا بالظلام المطلق في الآخرة، فالكافر في القيامة كغارق في بحر الظلمات، الصورة هنا مكثفة ذات أبعاد مختلفة فوقية وتحتية، تحتية تمثلت بالبحر وأمواجه، وفوقية تمثلت بالسحاب، إذ لم يكتف النص فيها بالإشارة إلى الظلمات، بل فصّلها إلى أجزاء،﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾[النور: ٤٠]، هنا يشتغل التخييل، فالصور الجزئية كثفت الإيحاء مشكلة صورة مكثفة الدلالة، فجاء العرض الصوري بهذه الشاكلة، ظلمة البحر، الذي وصف بأنه لجي، عميق متلاطم الأمواج[٧]، ولفظة (لُجّي) بمعناها وصوتها كانت مؤثرة في السياق، ثم يُفصّل فوق البحر العميق المظلم موج يغشاه، أضاف إلى ذلك، ظلمة موج آخر، لم يكتفِ أضاف فوقها سحاب متراكم، الصورة تدور في فلك الظلمات المتراكبة، بحيث فُقدت معها الرؤية[٨]،﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[النور: ٤٠]، بل من شدة الظلمة اذا رفع الإنسان يده ليبصرها لم يستطع إلى ذلك سبيلا.

الصورة الفنية في هذه الآية وُظفت لمخاطبة الوجدان، فأثارت الحسّ والمشاعر، وتفاعلت معها النفس فارتسمت في الذهن صورة فيها من الهيبة والجلال ما يبعث الرهبة، فالظلمات الثلاث،(ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب)، أي إنهم من الضلال في العقيدة ونحوه في مثل هذه الظلمة المجتمعة من هذه الأشياء، وهم في الواقع في ظلمات ثلاث: ظلمة الاعتقاد الباطل، وظلمة القول الساقط، وظلمة العمل الفاسد)[٩].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية والاجتماعية – العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

ثانياً: إثارة الحياة الكامنة في الانفعالات.

يصور التعبير القرآني المشاعر والأحاسيس والانفعالات كشخوص حية تملك صفات الأحياء، فالرّوع، والغضب، والخوف، والبشرى هي حالات انفعالية مجردة في واقع الحال، لكن التعبير القرآني صورها في بعض المواقف مشخصة تجيء وتذهب، تسكت وتتكلم، فهذه المجردات، أو المعنويات هي من تقف وراء الصور، والمواقف. وهنا تبرز وظيفة الصورة الفنية فهي تبث الحياة في المعنويات المجردة فتحيلها إلى شخوص مادية، مفعمة بالحركة[١٠]، لنتأمل الصورة في قوله تعالى:﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾[الأحزاب:١٨- ١٩]

رسمت لنا هذه الآية الكريمة إحدى صور المنافقين مع ذكر بعض صفاتهم، فهم يُحرّضون على القعود وترك الجهاد؛ لأنّهم يبخلون بكل ما أُتوا من مال وجهد، وغيره. إذ يرسم التعبير القرآني بريشته الفنية صورة الخوف المشخص، فيشكل صورتين جزئيتين صورة لمجيء الخوف وصورة لذهابه وما يترتب عليهما من أثر فيقول:(فإذا جاء الخوف) تغير حال المنافقين؛ لأنه يفعل فيهم فعلته فتراهم من شدة سطوته عليهم تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت شبّه حالتهم تلك بحالة المغشي عليه من الموت، وهذا ما يسمى بالصورة المزدوجة التي تجمع بين صورتين مختلفتين، حيث توضح الصورة الثانية الأولى، فدوران العين صورة رمزية، والغشية صورة تشبيهية، وبالرغم من اختلافهما إلا أنّ الصورة التشبيهية أبرزت الصورة الرمزية ووضحتها، وهذا الازدواج الصوري يمنح المشهد قيمة فنية تريك الحياة الكامنة في تلك الانفعالات الإنسانية[١١].

ثم تكمل الآية المشهد التصويري بصورة المنافقين عند ذهاب الخوف عنهم وتحررهم من قبضته، فتعرض لهم صورة مغايرة لسابقتها،﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾[الأحزاب:١٩]، فهم قد(خرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء...الفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال)[١٢].

وظيفة الصورة الفنية هنا تسليط الضوء على الانفعال(الخوف) والحياة الكامنة فيه بصورتين مختلفتين، فتصويره المشخص منحه القوة في التأثير، إذ بمجيئه كان للمنافقين حالة من الجبن، و الرعب، تشابه حالة المغُشي عليه من الموت، وبذهابه تحولت حالتهم إلى سلاطة اللسان ليظهروا أنفسهم بموقع القوة والشجاعة. إذن الانفعالات متغايرة ومتضادة والعامل الانفعالي البارز هو الخوف، الذي تغيرت المواقف الانفعالية بتغير حالته، لكن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذلك أبطل أعمالهم ولم يقبلها؛ لأنه يعلم نفاقهم وتقلبهم، وما أهونهم على الله[١٣].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية والاجتماعية - العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

ثالثاً: تغذية الخيال بالصور.

إنّ إحدى أهم خصائص الوظيفة الفنية للصورة هي تغذية الخيال بالصور، لأنَّ الخيال عنصر هام وجزء لا يتجزأ من تشكيل الصورة فنياً، وبانتفائه تصبح الصورة جامدة لا حياة ولا حركة. لنتأمل الصورة في قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ۝ صمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ والله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٧_٢٠]

يعرض لنا هذا المشهد القرآني شريطاً من الصورة المتحركة، مانحاً الخيال مادةً خصبة يشتغل عليها، إذ بدأ الشريط المصور بطريقة تشبيهية تظهر حالة المنافق كرجل أوقد ناراً يستضيء بها في ليل حالك، ولما أضاءت ما حوله وتيقن النور والأمان، انطفأت وعاد إلى ظلامه وحيرته، فحال المنافقين يشبه حالة ذاك، فهم بعد أن كانوا يتخبطون في الضلال وظلام العقيدة، جاءهم نور الإسلام ليضيء حياتهم، لكنّهم استحبوا العمى على النور، فأذهب الله عنهم النور، وبقوا يعيشون التيه كمن يعيش في ظلمة لا يبصر معها شيء من نور الحقيقة(١٤).

ثم يعرض النص صورة رمزية ليدع الخيال يستوحي ما شاء من الدلالات، ذلك في قوله تعالى:﴿صمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ فهو عندما يصف المنافقين بالصم والبكم والعمي، لا يقصد بها تلك العاهات الجسمانية بل يذهب إلى دلالة أعمق، موظفاً الرمز كوسيلة توضيحية للصورة الفنية(١٥). فالمنافق موغل في الضلالة والكفر، بحيث شكلت حواجز مانعة عن استظهار الحق، تمثلت بالصم والبكم وعمى.

ولم ينته المشهد؛ بل هو مستمر في العرض الصوري، فيمثل حال المنافقين بمن جد السير في ليلة اشتد فيها صبيب المطر، واحتلك فيها الظلام، وقوي صوت الرعد، حتى جعلوا أصابعهم في آذانهم لشدة دويه، وكل تلك الأمور تبعث الخوف في القلوب، وما بقي لهم سوى ضوء البرق يهتدون به في تلك الظروف القاسية، بل حتى البرق سريع لدرجة خطف البصر فكيف لهم أن يهتدوا به، كل تلك المواقف والأهوال دعت التخييل يأخذ مساحته في الحركة فجال فيها مشكلاً صوراً حسيّة، فيها من الرقي الفني ودقة التصوير ما يجعلك تدرك بقدر ما لهذا التعبير المعجز من جمال تصويري، فلو أن عدسة صورت هذا المشهد المتتابع، المائج بالحركة لأصابت الهدف المنشود، فكيف بمن صور ذلك المشهد بوساطة الألفاظ، فلا ترى فيها نقص، بل ترى التخييل يتنقّل بين الصور بانسيابية وحركية عالية، تنفعل معها الأحاسيس وتتسارع نبضات القلب، كل ذلك بتأثير الألفاظ المصورة(١٦). وبهذا تتجلى أبرز مظاهر الوظيفة الفنية للصورة، وقد لمسنا بتلك الشواهد كيف تعمل الصورة الفنية على إثارة الخيال وتغذيته بالصور.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

رابعاً: تحقيق المتعة واللذة الفنية.

كثير من الصّور في القرآن الكريم يطغى عليها الجانب الفني، فينجذب إليها المتلقي ويدرك مواطن الجمال فيها؛ لأنّها تصل إلى النفس بأسرع الطرائق، ويمكن أن نستشعر ذلك في تصوير القصة القرآنية حيث يتلون فيها الأداء التعبيري و التصويري، هذه الألوان منها ما يظهر في قوة العرض، ومنها ما يظهر في تخييل العواطف والانفعالات، ومنها ما يظهر في رسم الشخصيات(١٧)، وقد يبرز فيها أحد الألوان أكثر من الآخر بحسب ما يقتضيه الموقف المُصور، وبهذا التلوين والتنويع نستشعر اللذة والإمتاع الفني.

فلنتأمل قصة أصحاب الكهف حيث قُسمت على مشاهد:

المشهد الأول: مشهد تحاور الفتية وتشاورهم في أمرهم، قال تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى۞ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا۞ هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا۞ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[الكهف: ١٣_ ١٦]، هؤلاء الفتية آثروا الإيمان بالله تعالى على عقيدة الشرك، فربط الله على قلوبهم بالثبات والهداية، ففروا إلى الله تاركين عقيدة قومهم الضالة.

إن الصور المشكلة في هذا المشهد تتراءى لك وكأنك في مسرح الحدث، فبعد انتهاء حوار تشاور الفتية واتفاقهم على اللجوء إلى الكهف آمنين مطمئنين انتهى المشهد واسدل الستار،(١٨).

المشهد الثاني: مشهد الفتية في الكهف وقد غلب عليهم النوم، قال تعالى:﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[الكهف:١٧_ ١٨] يعرض لنا هذا المشهد صوراً متعددة منها حركة ميلان الشمس عند الشروق والغروب، فالفعل المضارع(تَّزَاوَرُ) توحي دلالته بتلك الحركة اللطيفة المتكررة كل يوم إذ تمثل عناية الباري عز وجل بهؤلاء الفتية، فأجسادهم محفوظة من أن يصيبها أذى من تلك الشمس لافي شروقها ولا في غروبها(١٩).يقول سيد قطب(إنّ المسرح الحديث بكل ما فيه من طرق الإضاءة ليكاد يعجز عن تصوير هذه الحركة المتماوجة، حركة الشمس وهي(تزاور) عن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه،(واللفظة ذاتها تصور مدلولها) وتجاوزهم عند مغيبها فلا تقع عليهم. ولقد تستطيع السينما بجهد أن تصور هذه الحركة العجيبة التي تصورها الألفاظ في سهولة غريبة) (٢٠)، تلك الصور العجيبة تعرض آيات الله عز وجل في حال هؤلاء الفتية لاستمالة القلوب والتأثير في النفوس، ثم تأتي بقية الصور الأخرى لتكمل المشهد في قوله تعالى:﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[الكهف: ١٨] ترسم لنا يد القدرة الإلهية في هذه الآية صورة تقليب أجسادهم يميناً وشمالاً لحفظها وحمايتها، بل حتى منظر الكلب وهو باسط ذراعيه بباب الكهف يعكس لنا مدى التلطف والعناية والرحمة بهم، بل أكثر من ذلك

منظرهم المرعب لكل من اطلع عليهم، كل ذلك حفاظاً عليهم إلى وقت أراده الله لهم(٢١). وبذلك يسدل الستار لانتهاء هذا المشهد إيذاناً بابتداء مشهد آخر.

المشهد الثالث: هو مشهد استيقاظهم من رقدتهم، قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۞ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[الكهف١٩-٢٠] يرسم لنا هذا المشهد استيقاظهم وحوارهم وهم يتساءلون عن مدة بقائهم في الكهف، فيجيبون انفسهم،_ لبثنا يوماً أو بعض يوم، وهم يجهلون المدة، لكن القارئ يعلم ما خفي عنهم، ثم يدفعون بأوراقهم النقدية إلى أحدهم ليأتيهم بأزكى الطعام، لكن بحذر خشية أن يُكشف أمرهم، ونحن نعلم أنه لن يرحمهم أحد، ونكمل متابعة المشهد، لكن تظهر لنا فجوة وهي مساحة متروكة لخيال القارئ، فقد عُثر عليهم من دون أن نعلم كيف وأين،﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[الكهف: ٢١]. يتجلى في هذه الآية الغرض الديني من القصة، وهو الإخبار بأن وعد الله حق، والساعة واقعة من دون شك، من دون أن يخل ذلك بفنية الصورة، ثم تظهر الفجوة الثانية لتترك المجال مفتوحاً للمتخيّل، فالآية أخبرتنا فجأة بأنهم ماتوا وتتجاوز عن بقية التفاصيل ويسدل الستار لإنهاء المشهد، لتنقلنا إلى مشهد آخر وهو نزاع القوم في أمر هؤلاء الفتية، ويأتي التوجيه للرسول بترك الرد على المجادلين في عددهم ومدتهم فقد حفظ ذلك في الغيب. هذه المشاهد القصصية شُكلت من صور جزئية عديدة، وظفت توظيفاً فنياً راقياً يصور لنا قوة العرض القصصي، محققة الإمتاع واللذة التي يستشعرها المتلقي من متابعة ومواكبة سير أحداث القصة، فنحن نتفاعل مع الحدث ونعيش مع الشخصيات أجوائها ونتأثر بها، وكل ذلك يصب في خدمة الغرض الديني؛ لأنه المحور الأساس الذي تدور حوله الصور القرآنية، وبه تبرز وظيفة الصورة الفنية(٢٢)

الخاتمة:

١. الدراسات القرآنية الحديثة تناولت وظيفة الصورة الفنية مستندة في أفكارها إمّا على آراء القدماء، أو على ما جاء به سيد قطب في نظرية التصوير الفني في القرآن، وإن لم يصرح البعض بذلك.
٢. أكد الدكتور عبدالسلام أحمد الراغب أنّ الوظيفة الفنية للصورة جاءت داعماً قوياً للوظيفة الدينية.
٣. استهدفت الصورة الفنية المتلقي فعملت على إثارة مشاعره وانفعالاته الوجدانية.
٤. وظفت الصورة الفنية الحياة الكامنة في الانفعالات عبر تشخيصها لتلامس حسّ المتلقي وتثيره.
٥. عملت الصورة الفنية على توظيف التخييل الحسّي عبر تغذيته بالصور المتنوعة، لإظهار الجمالية التعبيرية في النص القرآني.
٦. حملت الصورة الفنية وظيفة إمتاعية يستشعرها المتلقي في عرض المشاهد والأحداث.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

الهوامش

(١) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ٣٣٢_ ٣٦٣.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب،٢٤٢.

(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٢٢٩.

(٤) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير: ٣٧٦.

(٥) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٢٤٢.

(٦) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد محمد طنطاوي : ١٠/ ١٣٣. والتفسير الحديث، محمد عزة دروزة النابلسي : ٨/ ٤٢٨.

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٦٧. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ٥/ ٤٢٨.

(٨) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني: ٤٧٢.

(٩) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي: ٢/ ١٧٥٧.

(١٠) ينظر: جماليات التشخيص في التعبير القرآني، كزنك صالح رشيد: ١٠٩_ ١١١.

(١١) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني: ٥١٩. و جماليات التشخيص في التعبير القرآني، كزنك صالح رشيد: ١٢٠.

(١٢) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٥/ ٢٨٤٠.

(١٣) ينظر: زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني: ٥/ ٣٥٧. و التفسير المبين، محمد جواد مغنية: ٥٥٢.

(١٤) ينظر: أساليب البيان في القرآن، جعفر الحسيني: ٢٩٧. و نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ١٦/ ٣٦١.

(١٥) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني: ١٣.

(١٦) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب : ٢٤٨.

(١٧) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب : ١٩٠.

(١٨) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب : ١٩٠. و في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤/ ٢٢٦٢.

(١٩) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبي): ١٥٩/٦. والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد محمد طنطاوي : ٤٨٥/٨.

(٢٠) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب : ١٩١.

(٢١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي البغدادي: ١٥/ ٢٢٤. و في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٢٦٣/٤.

(٢٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، د. عبدالسلام أحمد الراغب: ٤١٦.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

المصادر العربية

القرآن الكريم

١) أساليب البيان في القرآن، جعفر الحسيني، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط: ١، ١٤١٣ه.

٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط: السادسة عشر، ٢٠٠١م.

٣) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة النابلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٠م.

٤) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٣، ١٩٨١م.

٥) التفسير المبين، محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط: ٢، ١٩٨٣م.

٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد محمد طنطاوي، السعادة، مصر،(د.ط)، ١٩٨٦م.

٧) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سورية، ط: ٢، ٢٠٠٦م.

٨) جماليات التشخيص في التعبير القرآني، كزنك صالح رشيد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: ١، ٢٠١١م.

٩) دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط: ٢، ١٤٤٢ه.ش.

١٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠ه)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د.ط)،(د.ت).

١١) زبدة التفاسير، فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني الملا فتح الله الكاشاني، تحقيق: مؤسسة المعارف، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط: ١، ١٤٢٣هـ.

١٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط: الثالثة، ١٩٩٢م.

١٣) الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط: ١، ١٩٩٢م.

١٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط: ١٢، ١٩٨٦م.

١٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري(ت٤٢٧ه)، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٢م.

١٦) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢ه)، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٨م.

١٧) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري(٧٣٣ه)، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: ١، ٢٠٠٤م.

١٨) وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، د. عبدالسلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط: ١، ٢٠٠١م.